محنة ابن سلمان.. بعد سحب أمريكا منظمة باتريوت وطواقم عسكرية أمريكية

عملية سحب الولايات المتحدة لاربع بطاريات صواريخ باتريوت واكثر من 300 جندي، وسربي طائرات مقاتلة، بالاضافة الى تخفيض في القوة البحرية، والتي أعلنت عنها صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية المقربة من الاوساط السياسية الأمريكية، في 7/5/2020.. هذه العملية أثارت الكثير من التساؤلات وعلامات الاستفهام لدى المراقبين والمحللين الأمريكيين والغربيين حول الهدف والدوافع من وراء الأقدام على تلك الخطوة، لاسيما وان بعض هذه البطاريات والطواقم العسكرية نشرتها الإدارة الامريكية في السعودية قبل عدة أشهر، بعد هجوم جماعة الحوثي اليمنية بالصواريخ المجنحة والطائرات المسيرة على منشآت أرامكو في بقيق وهجرة خريص، والذي تسبب في إيقاف نصف الانتاج السعودي من النفط، أي ايقاف إنتاج اكثر من خمسة ملايين برميل يومياً...

وما زاد هذه التساؤلات وجعلها اكثر حدة وإلحاحاً، بل ودفع المحللين الى إطلاق العنان لتحليلاتهم وتفسيراتهم لدوافع الانسحاب المشار اليه، هو ما نقلته صحيفة "وول ستريت جورنال" عن مسؤولين أمريكيين قولهم: ان القرار جاء بعد إعادة تقييم البنتاغون للتهديد الذي تشكله طهران، ولم يعد يعتبره خطراً مباشراً على المصالح الاستراتيجية، بحسب الصحيفة.. وهذا ما يتنافي تماماً مع ما اعلنه في ذات الوقت وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو، والذي زعم حينها بأن ايران تشكل خطراً متصاعداً للمنطقة، وتهديداً للمصالح الامريكية بحسب قوله يضاف الى ذلك التوتر فى الخليج بين طهران وواشنطن على خلفية التهديدات المتبادلة بين الطرفين، واتهام أحدهما للآخر، بتهديد قطعاته البحرية فى الخليج، الأمر الذى ضاعف من التكهنات بأن ثمة دوافع أخرى لهذا الاجراء الأمريكي، ولذلك غرّب وشرّق المحللون الغربيون فى تفسير هذه الدوافع فالبعض منهم اعتبر ذلك عقاباً لبن سلمان من جانب ترامب بعد تسببه فى النكبة التى مُني بها النفط الصخري الأمريكي، إثر اشعاله لحرب الاسعار النفطية مع روسيا، ما ادى الى إنخفاض الأسعار، الذى أدى بدوره الى استفلاس الشركات الأمريكية الصغيرة، وتوجيه ضربة غير متوقعة للاقتصاد الأمريكي ولقطاع العمل فى أمريكا، لدرجة ان ترامب تدخل شخصياً، ومارس الضغوط على ابن سلمان، بل إنه هدده برفع الحماية الأمريكية، ان لم يوقف حرب الاسعار مع روسيا، والعمل على رفع الاسعار... ومن المحللين من ذهب الى أن ما تعاينه أمريكا من أوضاع استثنائية بسبب جائحة الكورونا، وبسبب تردي الأوضاع الاقتصادية، هو الذى دفع الإدارة الأمريكية الى سحب بعض قواتها من السعودية... ولعل هذه التفسيرات أو غيرها قد تكون صحيحة وقد تكون غير ذلك.. ففي كل الأحوال، ان هذه الخطوة نذير شؤم لبن سلمان لاسباب كثيرة نذكر منها ما يلي:

أولا: ان النظام السعودي، بات ليس بذات الأهمية للولايات المتحدة، مقارنة بالعقود الماضية، حيث ساوى أحد الرؤساء الأمريكان بين تكساس والسعودية من ناحية الأهمية الاستراتيجية بالنسبة للأمن القومي الأمريكي، أما الآن، فأن هذه الأهمية تراجعت كثيراً، سيما في السنوات الخمس الأخيرة، أي بعد مجيء الملك سلمان وابنه محمد بن سلمان الى سدة الحكم، بعد وفاة الملك السابق الملك عبد الله بن عبد العزيز.. ذلك لعدة عوامل نشير الى بعض منها ما يلي:

1ـ تغيّر مفهوم العلاقة الاستراتيجية المشار اليها بين السعودية والولايات المتحدة، من معادلة، ان حماية أمريكا للسعودية نظاماً ومملكة، هى حماية أو تساوي حمايتها للأمن القومي بسبب النفط أو الموقع الاستراتيجى فى المنطقة للمملكة، الى معادلة جديدة باتت اكثر وضوحاً فى عهد ترامب، وهى معادلة البقرة الحلوب، أي ان تقديم الحماية للسعودية، لا تحتل فيه الأولوية للأمن القومي الامريكي كما كان سابقاً، وانما الاولوية فيه للدفع المالي وعقد الصفقات العسكرية وتبني المشاريع الاقتصادية الامريكية وما الى ذلك... ومن جانب آخر فان الامريكي بات يتعامل مع السعودية الى جانب تعامله كبنك مالي؛ كأداة لتمرير المشاريع الأمريكية السياسية والأمنية والعسكرية في المنطقة، ومتى أخلت بهذه المهام أو الالتزامات يجري التخلي عنها!! وبسبب هذا التبدل في المعادلة المذكورة لاحظنا كثرة تحليلات الصحفيين والمحللين الغربيين والامريكيين، حول الابتزاز الأمريكي المالي للنظام السعودي كدافع من دوافع سحب هذه القوات، وأيضاً حول ما اسموه تفكك اسس التحالف السعودي الامريكي، فعلى سبيل المثال حذرت مجلة "فورين بوليسي" الامريكية المعروفة فى مقال لها، نشرته فى نهاية الشهر الماضي ابريل 2020 بقلم كاتبيها " روبي غرامر، وكيث جونسون".. من ان " زواج المصلحة الهش القائم الآن بين الولايات المتحدة والمملكة السعودية منذ الحرب العالمية الثانية يواجه حالياً خطر الانهيار". وبعد اشارة المقال الى التحالف السعودي الامريكي القائم منذه 1945 وكيف التزمت به أمريكا والسعودية، يقول، ان امريكا باتت غير ملزمة الآن بحماية النفط السعودي كما كان فى السابق، سيما وان الكثير من هذا النفط يذهب الى الصين والى دول أخرى ليست دولاً أوربية، واستعان المقال بالتفاتة الخبير فى الشأن السعودي الذى عمل على مدى ثلاثة عقود في وكالة المخابرات المركزية السي آي إي، بروس ريدل، الى ان " الولايات المتحدة لم تعد تحتاج الى السعودية، ويبقى تعاطف ترامب مع المملكة حالياً الشيء الوحيد الذي يدعم العلاقات بين الدولتين، لكن هذا الأمر قد يتغير على وجه السرعة في حال تولى للمرشح جو بايدن مقاليد الحكم بعد انتخابات الرئاسة القادمة، وخاصة أنه سبق أن وصف السعودية بدولة منبوذة، وتعهد بقطع المساعدات العسكرية الأمريكية عنها ".

2ـ بات الأمريكان يعتقدون ان النظام السعودي بمنظومته الفكرية الوهابية، والقبلية التقليدية، يشكل عبئاً على الولايات المتحدة، فهم يعتقدون أو يعتقد الكثير منهم، ان فكر هذا النظام السعودي، أي

الفكر الوهابي بات يشكل خطراً على الولايات المتحدة نفسها، ولقد كرست حادثة الحادي عشر من سبتمبر2001، وحوادث أخرى من قبيل الهجمات الارهابية لدارسين سعوديين ضد الامريكان مثل الهجومات التى تحصل فى المدارس الحربية الامريكية، او الهجمات التى يقوم بها أصحاب هذا الفكر الوهابي ضد القوات الامريكية المنتشرة في المنطقة، في السعودية نفسها او في أفغانستان، وباكستان .و.و..كرست هذا الاعتقاد، ولذلك يرى اليوم الكثير من المشرعين الامريكيين أو من الخبراء الامريكيين يطالبون بمعاقبة هذا النظام، وتغيير بنيته الفكرية، ووضع حد لسلوكياته وتصرفاته الأجرامية ففي هذا السياق تقول صحيفة "بلومبرغ" الامريكية في مقال لها: ان " ولي العهد (محمد بن سلمان) يقترب منه كونه شخصاً منبوذاً بشكل لم يكن عليه أبداً أحد من أعضاء العائلة المالكة خلال 70 عاماً من التحالف السعودي الأمريكي، فهو يتعرض لهجوم مستمر من جميع الجهات في واشنطن بسبب مجموعة واسعة من القضايا، من حرب اليمن وحصار قطر الى سجن النشطاء الحقوقيين من النساء الى أغتيال الكاتب والصحفى جمال خاشقجى.." ويضيف المقال " حتى أعظم الجمهوريين مثل ليندس غراهام؛ يعتبرونه -محمد بن سلمان- شخصا متقلباً وغير جدير بالثقة. هناك دعم كبير من الحزبين فى واشنطن لاتخاذ إجراءات عقابية ضد الرياض تتراوح بين تقييد مبيعات الاسلحة والمطالبة بالعدالة لخاشقجى، كما ان الحرب النفطية اكسبت بن سلمان المزيد من الخزي، لكن هذه المرة من المنتجين الأمريكيين الذين تأثروا بشدة نتيجة إنخفاض الاسعار ". وتصف الوضع الذى يعاني منه اليوم حاكم السعودية بن سلمان قائلة " لقد أصبح الأمير الآن فى مأزق، وهو بحاجة ماسة لاعادة نباء الجسور مع الكونغرس، لكن الأمر سيكون أصعب الآن لأنه أضر بمصالح النفط الأمريكي، والآن لا يمكنه أن يخضع بسهولة لضغط المشرعين الأمريكيين في القضايا الأخرى دون أن يفقد بذلك ماء وجهه في بلاده، وفي العالم العربي". وللاشارة ان عدداً من المشرعين الاميريكيين مثل كيرمي وساندرس وبايدن وغيرهم طالبوا بمعاقبة هذا النظام وايقاف الحماية له، كما ان عدداً آخراً من هؤلاء المشرعين اعادوا احياء قانون جاستا الذي ينص على حق مقاضاة ذوي ضحايا الحادي عشر من ايلول عام 2001، النظام السعودي، باعتباره المتهم الرئيس في تورطه باحداث تلك الحادثة المروعة!

3ـ رغم ان بن سلمان حاول وما يزال بتقديم وجه إصلاحي وجديد للنظام السعودي العشائري التكفيري، من قبيل السماح للمرأة بسياقة السيارة، وباقامة الحفلات الماجنة والترويج للثقافة الغربية المنفتحة فى المجتمع السعودى وما الى ذلك.. اّلا ان كل تلك المحاولات لم تجدِ نفعاً لان النظام لم يغادر بنيوته الفكرية وتركيبته العشائرية، فهو فى الوقت يمنح المرأة حق السياقة، يعتقل الناشطات النسوة المطالبات بهذا الحق ويقوم بتعذيبهن، وفى الوقت الذي يدعي فيه الانفتاح، يعتقل المعارضين ويعدمهم، حتى ان احكام الاعدام تضاعفت في الفترة الأخيرة، أي فترة حكم سلمان وابنه، مقارنة بفترات الملوك السابقين!، بالاضافة الى ارتكابه الجرائم المروعة فى اليمن، ودعمه للارهاب والإرهابيين كل ذلك كرس ذلك الوجه الدموي القبيح للنظام عند الاوساط الأمريكية والغربية.

ثانياً: الانسحاب الإمريكي من السعودية، ربطه اكثر المحللين الغربيين والامريكان بالتوتر الحاصل بين ترامب وبن سلمان على خلفية حرب الإخير مع روسيا والتي تسببت في نكبة انتاج النفط الصخري الامريكي...بينما تجاهل هؤلاء المحللين حدثين بارزين عمداً أو سهواً في الوقت الذي اولتهما الأوساط الاعلامية والسياسية في الكيان الصهيوني أهمية بارزة، هما: التحدي الإيراني الواضح للوجود العسكري الامريكي إبتداءاً من سقوط أو اسقاط الطائرة الامريكية المتطورة (غلوبال) ومروراً بقصف قاعدة عين الأسد في العراق وتسديد ضربات دقيقية جداً رداً على اغتيال الشهيد قائد فليق القدس الايراني قاسم سليماني، واخيراً وليس آخراً الرد على التحرشات الأمريكية في الخليج، ما يعني ذلك في القاموس الأمريكي، ان سياسة التخويف والترغيب لا تؤثر في الجانب الايراني، وليس لها محلاً من الاعراب، من جانب ومن جانب آخر ان هذا التحدي حطم هيبة الوجود الأمريكي في المنطقة، أما الحدث الثاني فهو نجاح ايران في، طلاق القمر الصناعي العسكري (نور)، والذي اعتبره المراقبون الصهاينة تطوراً خطيراً وتهديداً اكثر خطورة للمواقع العسكرية وللقوات الصهيونية والامريكية، فهؤلاء الصهاينة اعتبروا ان هذا القمر لا يجعل تحركات قواتهم وقوات حلفائهم الامريكان تحت المراقبة والرصد الايرانيين وحسب، وانما سيساهم في جعل الصواريخ الايرانية الدقيقة أساساً اكثر دقة واكثر إيلاماً لهذه القوات، ان حصلت مواجهة مع الجانب الأيراني...

هذه الخطورة أضافت مبرراً جديداً للأمريكان لسحب قواتهم، فهم باتوا يعتقدون ان المنطقة ليست بذات الأهمية السابقة نظراً لاكتشاف النفط الصخري، ثم ان نفقات الانتشار العسكري في السعودية، مكلفة صحيح ان السعودية تغطي نفقات هذا التواجد العسكري لكنه يظل مكلفاً لأمريكا، نظراً لتراجع اقتصادها ولتراجع قوتها، وفضلاً عن ذلك استجماع قوتها فى مواجهة التحدي الصيني، وهذا ما يشكل مشكلة لبن سلمان وللعائلة السعودية، لأن الأخيرة، رهنت وجودها ومنذ قيام حكم العائلة في الجزيرة العربية عام 1932 م الى الحماية البريطانية ومن ثم إلى الحماية الأمريكية، وبالتالي ان هذا التراجع الأمريكي نذير احتمالات تخلّي الأمريكان عن تلك الحماية، وكما يقول ترامب ان رفع هذه الحماية تعني ان النظام سوف يسقط خلال أسبوعين، ليس من عدو خارجي عن طريق الغزو أو ما شابه ذلك، وانما يسقط من الشعب الجزيري الذي يختزن الآن مرجلاً من الغضب الذي يمكن أن يتفجر ويدمر العائلة السعودية في أية لحظة تقل فيها الحماية الأمريكية لهذه العائلة الفاسدة.

وللإشارة فقط، ان الكثير من الخبراء الأمريكيين حذروا من ان القوة الأمريكية تتراجع عالمياً قبال صعود قوى عالمية اخرى مثل الصين وروسيا وحتى الهند فضلاً عن صعود قوى إقليمية مثل ايران، وكما حصل للإمبراطورية البريطانية والإمبراطوريات التى سبقتها فأنها حينما تبدأ بالأفول تسحب قواتها الى المركز وتتخلى عن مستعمراتها، واللافت أو ما يثير الاستغراب ان الخبراء الامريكان بدأوا يتحدثون

بصريح العبارة عن بدايات أفول امبراطورية بلادهم بينما ما زال السعوديون فى سكرة الحماية الإمريكية والقوة الأمريكية القاهرة!! بعكس القوى الأخرى، فحتى الكيان الصهيونى بدأ يخطط لمواجهة هذا الفراغ المحتمل، بالتودد للصين وبتوطيد العلاقة مع روسيا!! وكان الأولى ان يكون ذلك دافعاً كبيراً لآل سعود للتصالح مع الشعب فى الجزيرة العربية كخطة استباقية لحماية أنفسهم على أقل التقارير!

ثالثاً: ان الانسحاب الامريكي يؤشر بوضوح الى الانزعاج الامريكي من النظام السعودي، وبالتالي فأنه يشكل رسالة عدم رضا وتهديد بنفس القوت ليس للنظام السعودي وحسب وانما لبقية الدول العربية الحليفة لواشنطن، ليس لان السعودية شنت حرب الاسعار النفطية ضد روسيا وتسببت في نكبة انتاج النفط الصخري الامريكي، كما اشرنا وحسب، بل ولأن السعودية والأمارات بعثتا ومعهما الكويت باشارات أنها لا تدعم ولا تؤيد علناً ضم الكيان الصهيونى لغور الاردن ولاكثر اراضي الضفة الغربية، صحيح ان السعودية والامارات قطعتا اشواطاً بعيدة في عملية التطبيع مع الكيان الصهيوني وفي معاداة الشعب الفلسطيني وفي العمل الحثيث على تصفية قضية، لكن الكيان الصهيوني لا يكتفي بالتطبيع ومطالبة لن تتوقف عند حد معين، من هذه الانظمة المهرولة نحوه للتطبيع وللتعاون الأمني والعسكري معه، مثل السعودية والامارات وفي ضوء توقعات العدو وامريكا، بات على السعودية تحديداً والامارات تلبية مطلبين بارزين، هما، الاعلان الصريح للتحالف مع أمريكا والكيان الصهيونى في مواجهة ايران، والموافقة على توظيف كل الامكانات المالية والجغرافية والسكانية فى أية مواجهة عسكرية مقبلة أو محتملة مع ايران وحلفائها، وهذا ما رفضته بعض الدول الخليجية عسكرية مقبلة أو محتملة مع ايران وحلفائها، وهذا ما رفضته بعض الدول الخليجية مثل عمان وقطر والكويت وحتى االامارات نفسها على ما يبدو. واما الاستحقاق الثاني، فهو الاعتراف الصريح من جانب هذه الدول لضم نتنياهو أراضي الضفة الغربية الى الكيان الصهيوني بشكل رسمي، ليكون ذلك غطاءاً عربياً للعدو لدفع الدول الغربية للحاق بواشنطن فى الاعتراف بهذا الضم، ولقطع الطريق على أي تحرك معارض من جانب الشعب الفلسطيني أو بقية الشعوب العربية.. بيد ان بعض من هذه الدول أيضاً أعلن تبرمه مما يريده الامريكان والصهاينة من إبداء حماس وتأييد ودعم لهذا الضم للاراضي الفلسطينية ففي هذا السياق كان وزير الخارجية الإماراتى عبدا بن زايد قد أعلن أن كل عمل إحادي يعيق السلام الدائم، في إشارة غير مباشرة للتحرك الصهيوني لضم اراضي الضفة الغربية، كما انه رفض تصريحات بنيامين نتنياهو رئيس وزراء كيان الاحتلال الصهيوني بشأن إتفاق العرب الضمني على هذه المشاريع وأكد ان هذه التصريحات معناها تجاهل الواقع وحقيقة المواقف العربية. ذلك ان الدعم العلني لهذه الحكومات للاجراءات الصهيونية من شأنه أن يحرج هذه الحكومات أمام شعوبها، والأكثر من ذلك ان هذه الحكومات تعتقد ان الدعم العلني سوف يعرضها لدائرة الخطر من غضب ونقمة الشعوب العربية لخيانتها وتحديها لمشاعر ومقدسات وحقوق الأمة وبالأخص الشعب الفلسطيني، غير ان الامريكان والصهانية آخر ما يفكرون به مصلحة هذه الانظمة والاخطار التى تهددها، إنما يريدونها أبقاراً حلوبة تضخ الحليب

دائماً لهم الأموال، ولا تعصي لهم أمراً، ولذلك لا نستبعد ان يكون سحب القوات الامريكية من السعودية، وحتى من الكويت، هو رسالة ضغط ترامبية لهذه الانظمة، بأن تتخلى عن ترددها وتبرمها من تأييد العدو الصهيوني لضم الاراضي الفلسطينية، وإلّا فأن هو التخلي الامريكي عن الحماية لهذه الانظمة! ما يرجح هذا الأمر ان المسؤولين الأمريكيين تركوا الباب مفتوحاً لتلك الحماية، ففي هذا السياق قال المبعوث الامريكي المكلف بالملف الايراني "براين هوك" في مقابلة مع شبكة "السى إن بى سى" الامريكية، بأن "هذا القرار- سحب القوات الأمريكية من السعودية- لا يعني ان ايران لم تعد تشكل تهديداً، فنسبة تواجد قواتنا تزيد وتقل حسب الظروف، لكن مهامنا ثابتة ولم تتغير على الاطلاق". واضاف.. "نقف مع شركائنا وحلفائنا فى المنطقة، ونقوم بكل ما وسعنا لحماية المصالح الامريكية...". واشار هوك الى أن "واشنطن أبرمت عدداً من صفقات الأسلحة مع السعودية وسنستمر فى دعم أمنها " على حد أقواله بمعنى أنكم اذا مضيتم معنا الى آخر الخط فى دعم الكيان الصهيوني والاصطفاف معه في سياساته الداخلية والخارجية، وعدم الاكتفاء بالتطبيع فحسب، فأن الحماية الأمريكية لهذه الانظمة ستستمر.. ما يعني كل ما تقدم ان بن سلمان خاصة والنظام السعودى وبقية بعض الانظمة الخليجية فى مأزق متفاقم لا يمكنها الخروج منه بسبب تبعيتها وانقيادها الاعمى لترامب ولنتنياهو!